

شعر الطفولة في ديوان "أراجيح تغني للأطفال" لسليمان العيسى
Children's Poetry in the Collection "Swinging Songs for Children" by
Suleiman Al-Issa

سامية بوعجاجة¹.

¹ جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، samia.bouadjadja@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2024/01/23 تاريخ القبول: 2024/11/04 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص: تسلط الدراسة الضوء على شاعر كبير، أفنى زهرة شبابه، ومسيرة عمره في الكتابة للأطفال شعرا ونثرا. والشاعر السوري (سليمان العيسى) خلف دواوين كثيرة؛ بيد أننا ركزنا على ديوانه "أراجيح تغني للأطفال" من خلال التناول الموضوعي والفني للديوان. في البداية عرّفنا بفن شعر الأطفال وأهميته، كما أبرزنا جوانب من تجربة سليمان العيسى الشعرية، وموقفه من هذا الشعر. كما درسنا الديوان من حيث الموضوعات؛ ومنها مواضيع الطبيعة، والحيوان، وموضوعات ترفيهية وتعليمية، وتربوية ووطنية. وختمنا الدراسة بإبراز بعض الخصائص الفنية للديوان؛ من حيث اللغة والأسلوب والصور الفنية. **الكلمات المفتاحية:** سليمان العيسى؛ شعر الأطفال؛ موضوعات شعرية؛ الطبيعة؛ الوطن.

Abstract:

This study highlights a prominent poet who dedicated his youth and life to writing poetry and prose for children. The Syrian poet, Suleiman Al-Issa, has produced numerous collection, but our focus was on "Swinging Songs for Children" Which we analysed both thematically and artistically. We began by defining the genre of children's poetry and its significance, while also exploring aspects of Al-Issa's poetic experience and his perspective on his genre. The collection is examined in terms of its themes, including nature, animals, recreational and educational topics, as well as patriotic themes. The study concluded by emphasising some artistic features of the collection, such as language, style, imagery.

Keywords: Suleiman Al-Issa, children's; poetic themes; nature; homeland.

المؤلف المرسل: سامية بوعجاجة، الإيميل: samia.bouadjadja@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

سليمان العيسى (1921 – 2013 م) شاعر الطفولة وصديق الأطفال، غنّى لهم قصائد وحكايات، وأنشد لهم أشعارًا وأغنيات. اتجه نحو هذا العالم، لأنه كما قال: لم أعد أعول على الكبار أو أنتظر منهم شيئاً ذي بال، لأنهم باختصار خذلوا فلسطين وأطفالها يوم انهزموا أمام إسرائيل في حرب 1967.

هذا الشاعر ظلّ قلمه فياضاً بالمشاعر والعواطف حتّى فاضت روحه وهو شيخ هرم تجاوز التسعين من عمره، لم ينس الطفولة، ولم يغفل عن هموم أمته وآلامها، ولم يترك فعل الكتابة والبوح بكل ما هو جميل وعظيم الأثر.

وهو شاعر جديد ومتجدّد على حدّ تعبير عبد العزيز المقالح: " أغنى الوجدان العربي بالجميل والجميل من الشعر والنثر، وأطلق في كتاباته الإبداعية الأسرار المخزونة في ضمير اللغة العربية، وكان وسيبقى واحداً من الحراس الأمناء على أحلام الأمة، وعلى الحرف العربي الأصيل." (المقال، (د.س) صفحة 5) وعند الرجوع إلى ديوان الشاعر " أراجيح تغنيّ للأطفال " يتجلّى حجم الاهتمام بالأطفال، وتسليط الضوء على عوالمهم الحاملة البريئة.

– فيا ترى ما هي أهم القضايا والموضوعات التي عالجها في هذا الديوان؟ وكيف كان أدأؤه الشعري؟

2. التعريف بشعر الأطفال:

الشعر فن من فنون الأدب، وأدب الطفل ظهر في العصر الحديث وعرف تنوعاً وانتشاراً بين الدارسين والقراء. والشعر من منظور القدماء: كلام موزون ومقفى يدل على معنى. عرّفه ابن منظور فقال: " الشعر منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية." (ابن منظور ، (د.س) صفحة 442 مادة ش.ع.ر))

وفي المفهوم الاصطلاحي هو " فن من الفنون الجميلة مثله مثل التصوير والموسيقى والنحت، وهو في أغلب أحواله يخاطب العاطفة، ويستثير المشاعر والوجدان، وهو جميل في تخير ألفاظه وجميل في تركيب كلماته، جميل في توالي مقاطعه وانسجامها." (أنيس، 1952 صفحة 05)

الشعر لغة الوجدان والعاطفة الصادقة، يصوّر مشاعر النفس البشرية، وأفكارها في لغة جميلة محببة إلى قلوب الصغار، قريبة من عالمهم البريء، كما ينقل تجربة الشاعر ومعايشته لهذه الشريحة المهمة من المجتمع، فيعبر عن أحاسيسهم وأحلامهم وأمانيتهم. ومن ثم فإن " شعر الأطفال الجيد هو الذي يمزج الخبرات ويربط بين تجربة الشاعر والطفل، وهو الذي يربط بين عواطف الأطفال وأفكارهم، ويثير فيهم ما يتضمنه من صور شعورية وانطباعات فنية واستجابات عاطفية." (أبو معال، 1988 صفحة 93)

ومن أهدافه: تعليم الطفل اللغة السليمة، وينمي ذاقتة الفنية، ويصقل مواهبه في فن التعبير والإلقاء والحوار، ويعالج الأمراض النطقية، ويشحذ الهمم، كما يث في وجدانه روح الحماسة، وصدق العقيدة والإخلاص للوطن، ويزرع الأحاسيس النبيلة من حب والدين والأقارب والجيران، وحب الخير للبشرية جمعاء، ضف إليها دفع الطفل للانفتاح على مختلف العلوم والمعارف، وخوض التجارب والانتفاع بها، فهو يصور له الحياة في بساطتها وعمقها.

وهكذا فإن " شعر الأطفال لا يتوقف عند العاطفة والموسيقى بل يتعدى ذلك إلى الفكرة التي تتضمن الوعظ أو الحكمة، والسرور والبهجة، ما يساعد الأطفال على تنمية قدراتهم واستعداداتهم وينمي خبراتهم في التفاعل مع مجتمعهم وبيئتهم التي تحيط بهم." (أبو معال، 2005 صفحة 213)

3. سليمان العيسى رائد شعر الطفولة:

كتب الشاعر للطفولة أشعارا كثيرة، ودواوين ملأت المكتبات العربية أناشيد وأغنيات في مختلف المواضيع، وهو يحفز الصغار على الغناء كما يحث الكبار على تعليمهم الأناشيد الجميلة، يقول في هذا الصدد: " دعوا الطفل يغني. بل غنوا معه.. أيها الكبار. دعوه يفتتح.. إن الكلمة الحلوة الجميلة التي نضعها على شفثيه.. هي أثن هدية نقدمها له. لكي يحب الأطفال لغتهم، لكي يحبوا وطنهم، لكي يحبوا الناس، والزهر، والربيع، والحياة.. علموهم الأناشيد الحلوة، اكتبوا لهم شعرا جميلا، شعرا حقيقيا." (العيسى، 1999 الصفحات 10-11)

ولكي تجد هذه الأشعار صدى طيبا لدى الصغار، ووقعا حسنا في نفوسهم الطاهرة البريئة، ينبغي أن تجتمع في شاعر الأطفال جملة من المزايا والمهارات الفنية واللغوية. يلخصها الشاعر في أربعة

عناصر: اللفظة الجميلة الموحية، الفكرة الصادقة الخيرة، والصورة الشعرية الشائقة، والموسيقى الخفيفة العذبة. يقول الشاعر: "إنني أحرص، يا عصفورتي الحلوة، أن تكون في النشيد الذي أكتبه للصغار العناصر التالية:

1. اللفظة الرشيقة الموحية، الخفيفة الظلّ، البعيدة الهدف، التي تلقي وراءها ضلالاً وألواناً، وتترك أثراً عميقاً في النفس، إنني أتجنب كل لفظة متعجرفة، ثقيلة الظل، ضعيفة الإشعاع.
2. الصورة الشعرية الجميلة، التي تبقى مع الطفل طوال حياته. مرّة..ألتقطها من واقع الأطفال وحياتهم. ومرّة.. أستمدّها من أحلامهم، وأمانيتهم البعيدة.
3. الفكرة النبيلة الخيرة، التي يحملها الصغير زادا في طريقه، وكنزا صغيرا يشعّ ويضيء.
4. الوزن الموسيقي الخفيف الرشيقي، الذي لا يتجاوز ثلاث كلمات أو أربعاً، في كل بيت من أبيات النشيد. "(العيسى، 1999 الصفحات 14-18)

4. الموضوعات الشعرية في ديوان "أراجيح تغني للأطفال":

تنوعت المواضيع التي تناولها الشاعر في ديوانه وتشعبت، منها ما استمدّه من الواقع وتجلياته، ومن الطبيعة وجمالها، ومن التاريخ وعراقته وامتداده، فكانت مواضيع الطبيعة بكل مظاهرها وتشكلاتها، وأخرى ترفيهية تروّج عن خواطر الصغار، وأخلاقية تربوية ترتقي بسلوكهم، وتهذّب جوارحهم ونفوسهم، وتنمّي مستوياتهم الفكرية والعلمية، وكذلك الإنسانية والاجتماعية والوطنية التي تسعى إلى إدماجهم في محيطهم الوطني والعالمي.

فالطفل بفطرته النقية، وبأحلامه الساذجة، ومشاعره الصادقة، يتلقف تلك الأفكار والصور والأخيلة بدهشة ومتعة ممزوجة بالفرح والسعادة. ومن أهم هذه الموضوعات:

1.4 الطبيعة:

وللطبيعة بجمالها الخلّاب، وألوانها الفاتنة من رياض وبساتين، وورود وأنهار ووديان، وما يحويه هذا العالم الرحب من حيوان ونبات وطيور وحشرات.. مما يدل على العلاقة الوثيقة بين عالم الطفولة وعوالم الطبيعة، والطفل محبّ للحيوانات وخاصة منها الأليفة، كما يبتهج لمراى الحقول والحدائق، يخلّق مع الطيور

والفراشات؛ وهو مما يريّ ذائقته الفنية، ويزيده رهافة حسن ودقة شعور. يقول الشاعر مستنطقا الطبيعة وجمالها، مستحضرا في نفس الوقت حلم الأولاد وسعادتهم:

الشمس تناديننا البحر يناديننا

يا أزرق.. يا حلم الأولاد.. تناديننا

جينا... جينا

يا موجة يا مهري الأخضر

أنا سباح سباح

أنا فارسك البطل الأسمر

والعصفور الصداخ

يا بحر احملنا نحو الشمس..

وغنّ... وغنّ أغانيها(العيسى، 1999 الصفحات 272-273)

ومن مظاهر الطبيعة الحاضرة في قصائد الشاعر جمالا وبيانا (النبات) فالأشجار الخضراء والحقول الغناء، وثمارها اليانعة، وأزهارها البهية الزكية الروائح، تسترعي اهتمام الطفل، فيعجب بها، وكذلك تستهوي الشاعر، فتلهمه شعرا ينبض جمالا وحياة، يقول الشاعر:

اخضرار

اخضرار

موكب الأشجار هذا

موكب الأشجار

نملأ الدنيا جمالا

نملأ الأرض اخضرار

نحن زيتنا البراري

نحن نضربنا القفار

نحنُ علّمنا الأغاني

سائرَ الأطيّار

موكبُ الأشجارِ هذا

موكبُ الأشجارِ (العيسى، 2009 صفحة 102)

إنّ هذا الاخضرار الذي يطبع أجواء الطبيعة، ويلقي عليه جمالا ربانيا يسحر الأبواب ويخطف الأنظار، يحمله مداد الشاعر، كريشة فنّان مضمّخة بالألوان الحية الناطقة بالجمال والخلود.
ويلفت الشاعر أنظار الأطفال لحبات توت العليق؛ وبالمناسبة للشاعر شغف كبير بثمار التوت، فقد تفتحت عيناه في صباه على شجرة توت عظيمة في صحن الدار. فهو يدعو إلى التأمل في هذا الثمر الشهوي المتدلي على صور الحقل، ولونه يلمع كالياقوت، شهيا طيب المذاق، فيتمنى الصبيان قطفه وتذوقه في أنشودة " الثمر البري " يقول:

الثمرُ البريُّ الطالع فوق سياج الحقلِ

كان جميلاً

كان شهياً يلمع كالياقوتُ

هذا الثمرُ الحلوّ الطالع فوق سياج الحقلِ

سوف تكونُ السلةُ ملاءى

من حبّات التوت

كم كنّا نتمنى خطفكِ

كم كنّا نشتهي قطفكِ

يا حبّات التوت

يا لامعةً تحتَ الشمسِ

كأحجارِ الياقوت. (العيسى، 2009 صفحة 152)

وفي مملكة الأزهار، تتعطر الطبيعة بالفرح والعطر والجمال، فالطيور ترقص والفرشات تمرح، والأنغام
تملأ عالمنا الفسيح بشرا وحبورا، يقول الشاعر في أنشودة " عودة الأزهار ":

عادت الأزهار
فدعونا نملأ الدنيا
نُرقصُ الدنيا
بالأغاني...
باهوى...
بالعطر...
بالأشعار
عادت الأزهار
لم تعد صحراء
هذه الأرضُ التي تحملنا
إنها تغازلنا
نعما حلوا
يا عصافير أوصحي
يا فراشات امرحي
كلّ شيء صار أحلى
قمةً، سفحاً، وسهلاً

عادتِ الأزهار(العيسى، 2009 صفحة 172).

فالتغني بالطبيعة وصورها وأشكالها، لم يقتصر على الأشجار ولا الأزهار؛ بل تعدّها إلى وصف
الرياض والحقول والثمار اليانعة، والظلال الوارفة، والبساتين الخضراء الناضرة.

إضافة إلى وصف مظاهر الطبيعة كالضباب وبزوغ الشمس وفصل الربيع... وهذا كله في تصوير رقيق، ولغة بسيطة واضحة، يفهمها الأطفال ويحبون لها.

2.4 الحيوان:

عالم الحيوان أخذ نصيبا واسعا من ديوان الشاعر؛ فهو كعادته يراقب الحيوانات الأليفة في جمالها ولهو الصغار معها، وفي حيويتها وخفتها ونشاطها.

والحيوان قريب من وجدان الأطفال، ومحبب إلى نفوسهم، وهم أكثر انجذابا للحيوانات الأليفة، فتراهم يراقبون حركاتها، ويقلدون أصواتها، ويتبعونها في تنقلها، ويجرون خلفها للقبض عليها واللعب معها. وهذا المعنى يصوره الشاعر خير تصوير في أنشودة " الحمل الصغير " وفيه يصور صداقة حمل صغير بينت تدعى " تيماء " يقول:

أنا الحمل... أنا الحمل

بهذا الحقل أنتقل

هذا بيتي... هذا سكاني

وهذا العشب يُعجبني

أنا الطفل الذي يرعى

أنا أنشودة المرعى

أحس الأرض خضراء

إذا لاقيت تيماء

معًا نثغو معا نلعب

نصير اثنين في الملعب (العيسى، 2009 صفحة 29)

وحين ينتقل الشاعر في الغابات، ويتجول قريبا من ضفاف الأنهار، فيسمع نقيق الضفادع، وهي

تنطّ خالية البال من مكان إلى مكان؛ يقول:

الشمس لي والنهر لي

وزينة الحمى أنا

بلحني المفضل

أرطب الدنيا هنا

على الضفاف أنطلق

حلّو غنائي...نق...نق

أعيش بالبال الخلي

الشمس لي والنهر لي (العيسى، 2009 صفحة 28)

3.4 موضوعات ترفيهية:

يستهوى اللعب بأشكاله المختلفة الأطفال، فيجدون فيه المتعة والمرح، ويشجعهم على تنشيط أجسامهم، والاندماج مع أقرانهم وأصحابهم كاللعب بكرة القدم والنتّ على الحبل والجري والأراجيح... والشاعر يدرك ما للعب من مزايا وأدوار، ومن هنا يشجع الصبيان ويستحثهم على ممارسة هواياتهم، كما هو الشأن في أنشودة " عالية تنزّج " يقول:

أنا لم أبق طفلة

أنا أقوى وأشجع

شاركوني بلعبكم

وانظروا كيف أبداع؟

كنت يوماً صغيرة

وأنا الآن أكبر

ملء قلبي رغائب

وأماي تُزهر

سوف أمضي فراشة

بينكم تُبهر النظر

إِنْ أَقْعَ مَرَّةً أَقْمَ

يَعْتُرُ الطِّفْلُ.. ما الضَّرَرُ؟ (العيسى، 2009 الصفحات 44-45)

ومن بين هذه الألعاب التي تشعر الطفل بالسعادة والانطلاق، وتحفوا قلوبهم معها حين تحلق في الفضاء عالياً، فتنساب محلقة بين الغيوم والأجواء، وهذه اللعبة هي الطائرة الورقية، يقول الشاعر في أنشودته " الطائرة الزرقاء ":

يا أحلامي الحلوة * يا طائرة الورق!

انساي في نشوة * طيري حتى الأفق

طيري مثل الفرح * يا طائرتي الزرقاء!

بالغيّات اتشحي * وثبي فوق الأنواء!

لا أحلى لا أروع * من شكلك إن تتي

لكن ظلّي بيدي * لا تبعدني عني

أبدا لا تبعدني * أو تنفلي منّي (العيسى، 2009 صفحة 63)

وقد أثبتت الدراسات النفسية والتربوية أهمية اللعب في تكوين شخصية الطفل وتنمية مهاراته التعليمية والاجتماعية، وسهولة اندماجه في مجتمعه، والتأثير فيه، وتطوير بيئته ووسطه والتفاعل معه.

4.4 الموضوعات التعليمية:

وهو شعر ينمي معارف الطفل ويفتح مواهبه، كما يولد في نفسه روح البحث والاستكشاف، ويصبح متعلماً قادراً على العمل والانجاز والبناء.

والشاعر يلح على مواضيع تمت بصلة للتعليم والمدرسة والمعلم واللغة العربية، وقيمة العلم في النهضة العلمية وتطوير الأوطان، بأسلوب رقيق يترنم به الطفوليّشدو به في مدرسته ومع أقرانه. وها هو الطفل يتغنى بمعهد أي روضته التي درس بها، وعاش فيها أحلى أيامه وأسعدها، يقول في أنشودة " يا بيتنا الثاني ":

يا بيتنا الثاني * يا ملعب الأطفال !

يا معهدي الحاني * يا روضة الآمال
حبيبنا أنت * والجنة الصغرى
على المدى كنت * اللون والزهر !
يا معهدي المحبوب * يا أيها المسكون
دوما بأطفالك * أطفالك الحلوين
نمر في بالك * نأتيك مسرعين
أسعد بنا واعمّر * يا بيتنا الثاني
لولاك ما أزهّر * غصن بيستان (العيسى، 2009 صفحة 90)

5.4 موضوعات تربوية:

تتصل التربية بالأخلاق، والأسرة، وخاصة الوالدين ودورهما في تربية ابنهما وتنشأته تنشئة صالحة، فتغرس في روحه معاني الإيمان والصدق والإحسان والوفاء.. وللدين دوره في التوجيه والرعاية وترسيخ قيم الدين والإيمان الصحيح؛ فيشب الفتى معتزاً بدينه، مزهواً بوطنه، مستقيماً في سلوكه، متصالحاً مع نفسه " فالطفل قرنفة فوّاحة إن غرست داخل تربة صالحة نمت وأرسلت شذى وتضوّعت عبيراً وأريجاً، وإن هي أهملت غدت نبتة مشوكة تدمي فؤاد المتيم بما قبل أن تلسعه بأشواكها " (مرتاض، 1994 صفحة 8)

وديوان الشاعر يحفل بالمعاني النبيلة والأخلاق الجليلة، التي تطبع حياة الطفل فيشب مؤمناً بعقيدته، صادقاً مع نفسه ومحيطه، صافياً في سريره وروحه.

وها هو الشاعر يعمّق هذه المعاني ويرسخها، مركزاً القول على الأخلاق الطيبة التي تبني شخصية الطفل نحو الأصلاح والأحسن؛ يقول في أنشودة " ازرع ليأكلوا ":

ما أجمل * العطاء!
تسمو به * الحياة
تحلو به * الحياة
ما أجمل * العطاء!

يا دوحة تُعطي الثمر
يا غيمة تُعطي المطر
ويسكب الضوء القمر
ازرع * ليأكلوا
وانسج * ليلبسوا
يبقى لنا ما نفعل
يا طيبة * القلوب

ظلي * مع البشر (العيسى، 2009 صفحة 96)

العطاء شجرة مثمرة، ومن يزرع الخير يجني الخير، والعطاء فعل خير وطيب، إن نبت الطفل على هذا الخلق، سمت روحه وصفت سريره.

وهو يحتاج إلى الحب، وينبغي علينا أن نغرس فيه هذا السلوك الإنساني؛ لأنه يحمل في طياته نبلا أخلاقيا وصفاء وجدانيا، من هنا يتغنى الشاعر بهذا القلب الذي ينبض بالحب، يقول في أنشودة " وتبقى نبضة الحب ":

كنوز الأرض محتبئة
بقلب ملؤه الحب
تظل الأرض منطفئة
إذا لم ينبض القلب
أحس الناس في قلبي
معا نسعى .. معا نحيا
كنوز الأرض لا تبقى
وتبقى نبضة الحب
طريقي لست أملؤه

بغير الزهر والعشب (العيسى، 2009 صفحة 94).

وينبّه الشاعر إلى أخلاق ذميمة تضرّ الإنسان، وتحطم كيانه، وتنفر الناس منه، وهو خلق الغرور، فيحذر الأطفال من خطره، فهو سلوك قاتل وهادم للطموح والنجاح، عدو للتواضع. وقدما قيل: من تواضع لله رفعه. يقول الشاعر في أنشودة " الغرور ":

عند كلّ منا خصال جميلة

عند كلّ منا صفات نبيلة

نتحلّى بها كما يطلع الزهر

ويحلو به ربيع الخميّة

غير أنّ الغرور يقتل فينا

ما حملناه... من طباع أصيلة (العيسى، 2009 صفحة 134)

كما يبين الشاعر في أناشيد عديدة أهمية الأخلاق، وأثرها على الأفراد والأمم؛ فالأمم تبنى بالأخلاق والحضارة تقوم عليها، وإذا انعدمت بادت وفنيت.

6.4 المواضيع الوطنية:

حبّ الوطن من الإيمان، والوطن هو بيت المرء، وكرامته وشرفه وعزّه، لذلك يلح الشاعر على هذه المعاني؛ حتى ينشأ الطفل محبا لوطنه، حريصا على وحدته وسلامة أراضيه، شغوبا بنهره وبحره وجمال طبيعته، يقول:

إني أحبّ السحر والساحرات

لهنّ منّي أجمل الأغنيات

السحرّ حولي في نقاء الهواء

في زرقة البحر ولون السماء

في ضجّة الأطفال إذ يمرحون

يعطوننا الدنيا وهم يضحكون

إني أحبّ السّحر في موطني!

يعجبني الشيء الذي يسحرُ

لأنّني في ظلّه أكبرُ(العيسى، 2009 صفحة 70)

والشاعر وطني حدّ النخاع، يعشق ثرى وطنه، ويفتخر بتاريخ وأجداد أمته، معجب بجمال بلاده من بحارها وأنهارها، وأشجارها وجبالها، وسهولها وفيافيها، ومجدها الضارب في أعماق التاريخ. والطفل ينبغي أن يتشبع بهذه القيم، ونغرس فيه معاني الوفاء لشهداء أمته ونضالها الحافل بالبطولات والأجداد، فهذا هو يتقمص شخصية " أبو عبد الله الصغير " آخر ملك للأندلس؛ الذي أضاع ملكه وملك آبائه بضياح مملكة بني الأحمر في غرناطة، فيبكيهم ويفخر بتاريخهم المشرق الناصع في قصيدة " على شرفات غرناطة " يقول:

إني سليل الشمس رمزُ الفخارِ

ومن هنا جاء اسمي الأحمر

أنا وأجدادي حملنا النهار

إلى بلاد لم تكن تبصر

إنّا أقمنا معجزات البناء

ما بين زهراء وحمراء

ونحن أشعلنا الثرى بالضياء

حين الدُّنى أمواج ظلماء

وربما نامت حكاياتنا

وانتصرت حيناً جيوشُ الظلام

ذات غدٍ تُبعثُ رايأتنا

وتصدعُ الأرضُ الشموسُ التّيام(العيسى، 2009 الصفحات 184-185)

فشعر الأطفال من منظور الشاعر ينبغي أن يكون رسالة ناطقة تحمل مضامين تبني شخصية الطفل لا أن تدممها، وتعلي من سقف أحلامه وآماله، ليكون شخصية فاعلة إيجابية بناءً. فاختار موضوعات تعليمية وتربوية وترفيهية ووطنية، تسمو بروح الطفل وترسم له غده المشرق. فهذا الشاعر عبّر بالكلمات عن تاريخ أمته، وتراثها الحاضر، ونجمها المنير الصاعد، بتعبير صادق وألفاظ حوت عبقرية صاحبها، وملكته الشعرية الناضجة المتمرس، يقول أحد أصدقائه: هو " الشجرة المباركة من المعاني والصور والأخيلة والأحاسيس والصدق الفني والشعوري، هذا النهر من الحنان والحب والبراءة، هذا الإنسان الذي ظلّ محتفظاً بصورته الفنية الحاملة خارج كل الصور الشوهاء. " (المقالح، (د.س))

5. الخصائص الفنية للديوان:

1.5 اللغة والأسلوب:

يعنى كُتّاب الأطفال باللغة عناية فائقة، كما تراعى المراحل العمرية للأولاد، ومستوياتهم الفكرية، ومن باب أولى فإن الشعراء هم أحرص على مراعاة البساطة في أناشيدهم، والابتعاد عن الغموض وعويص اللغة، وتجنّب الخيال المجنّح والرمز البعيد الغور.

والشاعر من أنصار السّهولة، والوضوح مع جمال التعبير وسلامة اللغة؛ يقول الشاعر: " إنني أحرص على أن يتشابهك في النشيد الذي أكتبه للصغار الوضوح والغموض، الواقع والحلم، المحسوس والمعقول، الحقيقة والخيال.. كل ذلك في كلمات مدروسة بعناية " (العيسى، 1999 صفحة 19) واللغة هي النافذة التي يطل منها الطفل على عالمه ومحيطه، وأول ما يقع نظره على الأشياء يسأل ويستفسر فيتعلم رويدا رويدا، والشاعر يتلقف هذه المعارف والمشاهد، فينقلها للطفل بلغة سهلة، تناسب سنه وإدراكه واستيعابه، وهو الأمر الذي يسهل له عملية اكتساب اللغة، والانجذاب إليها ومحبتها. ففي أنشودة " الدمى تلعب " يوظف الشاعر ألفاظا سهلة، تدل على معان بسيطة، يقول:

نحن الدمى الرشيقة

نطوف في الحديقة

لنا لنا الملاعب

ومن نشأ نداعب

نلهو مع الطيور

وننشُر السرور

في كل ركن أخضر

من معبر لمعبر (العيسى، 2009 صفحة 22)

وفي مقدور الصغير اكتساب معجم لغوي، ألفاظه مستقاة من الواقع، وهي بسيطة لا غموض فيها؛

مثل: (الدمى، الملاعب، الطيور، السرور، نلهو، أخضر..)

أما عن الأسلوب؛ فقد تنوع بين الخبري والإنشائي، مثلاً يقول بأسلوب التعجب:

ما أجمل الحياة ! ما أجمل الحياة ! (العيسى، 2009 صفحة 168)

فأسلوب الشاعر وطريقته في عرض أفكاره كانت ناجحة إلى حدّ بعيد، فقد استطاع محاورة الطفل

بلغة سلسلة ليغرس فيه قيماً تربوية وأخلاقية.

كما يعتمد الشاعر إلى أسلوب التكرار؛ وهو ظاهرة لغوية إقناعية يلجأ إليها شاعر الأطفال، لتأكيد

المعاني وتثبيتها في ذهن الطفل، ويسهم التكرار في تماسك النص وانسجامه، من حيث الدلالة والإيقاع،

كما يزرع في نفس الطفل انفعالا، ويترك في الشعر جمالية وممتعة فنية.

وتتنوع أساليب التكرار في القصيدة؛ من تكرار للحروف والكلمات والعبارات. ومن أمثلة التكرار

التوكيدي قوله في أنشودة " نزهة حلوة ":

إلى الضفّة

إلى الضفّة

إلى النّهر

إلى النّهر (العيسى، 2009 صفحة 98)

2.5 الصورة الفنية:

في التجربة الشعرية تتضافر كل الحواس، وتدخل ثقافة الشاعر، والمحيط الذي شَبَّ وترعرع فيه، ومعارفه في تشكيل جماليات القصيدة، وإلمامه بعالم الطفولة واهتماماتها؛ لذلك هناك من عرّف الصورة بأنها: " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني" (القط، (د.س) صفحة 435)

وقد عرض الشاعر طريقته في النظم للطفل؛ فيختار الصورة الشعرية الجميلة، التي تظل حاضرة مع الطفل طوال حياته، وهو يستمدّها تارة من واقع الأطفال وحياتهم، وتارة أخرى من أحلامهم وأمانيتهم (العيسى، 1999 صفحة 16 (ينظر))

فمن أمثلة التشبيه البليغ، يقول الشاعر:

صديقتي عفراء * يا زهرة المساء

يا بسمّة الصّباح * إذا النهار لاحُ

فهو يشبه عفراء بالزهرة المتفتحة تارة، وببسمّة الصّباح تارة أخرى.

وحين يرسم صورة للحلم يشبّـهها بالفراشة، يقول:

رندةٌ تحلم بالطيران

مثل فراشات البستان

ونلمس التشخيص في بعض القصائد، ليقرب بعض المفاهيم ويجسّدّها، حتى يستوعبها الطفل، ويعي معناها، يقول:

أنا المرأة... يعرفني الصفاء

وأعرفه... ويهواني الضياء

أنا المرأة... أكشف كلّ شيء

فلا زور هناك ولا خفاء

وتجذبني العيوبُ فأجتبئها

ولي لو أنصفت منها الثناء (العيسى، 1999 صفحة 87)

ففي صورة استعارية يستنطق المرأة، فهي الصفاء والضياء، تكشف كل قبيح، وتجلي كل جميل بهي.

والكناية نلفيها في هذا المثل، يقول:

رُبَّ قبحٍ ظاهرٍ نام على

رائع الحسنِ وخلاّب الجمال.

هي كناية عن المظاهر الخداعة، كما أنّ العجلة في إطلاق الأحكام، قبحٌ وسوء تقدير.

3.5 الموسيقى:

أكثر ما يهتز له الطفل وينفعل به، هي تلك الأنغام الخفيفة والموسيقى الرقيقة، والكلمات الموقعة التي ينسجم معها. والشاعر يدرك أهمية ذلك وأثره الكبير في نفس الصغير، ولذلك ينصح بالوزن الخفيف الرشيق، الذي لا تتجاوز كلماته الثلاث أو الأربع كلمات.

والشعر بخلاف القصة والمسرحية تتحكم في بنائه الوزن والقافية والإيقاع. فبالنسبة للوزن عمد الشاعر إلى انتقاء البحور السهلة الخفيفة، كما نوع في أوزانه المستعملة حتى لا يملّ الطفل من سماع لحن واحد، وأكثر ما نلمسه في قصائد هذا الديوان؛ هو التقليل من الكمية الإيقاعية التي لم تعد تتجاوز التفعيلتين أو الثلاث. ففي مقطع من أنشودة " طائرة الورق تعني " مع التقطيع:

- إنني طائرة من ورق

إنني طائرُ من ورق

0/// 0/ 0///0/ 0//0/

فاعلاتن / فعلاتن / فعلن

- أجمل الألوان في أجنحتي

أجملُ لألوانٍ في أجنحتي

0///0/ 0/ /0/0/0 // 0/

فاعلاتن/فاعلاتن/ فعلن

فهذه الأنشودة نسجت من تفعيلات " بحر الرمل " مع حدوث بعض التغيرات على تفعيلاتها،
والرمل ينتخبه الشعراء بوصفه " بحر الرقة يوجد نظمه في الأحران والأفراح والزهديات. " (بعوت، 1996
صفحة 131)

فالطائرة الورقية هي رمز للانطلاق وعنوان للتحدي، وهي تشبع في الطفل دواعي الحرية
والاستكشاف، والرغبة في رؤية مناظر الطبيعة من الأجواء العالية، ولذلك يكون متحمسا باللعب بها
ومشاهدة تحليقها في الفضاء، كما أن توالي تفعيلات بحر الرمل أي فاعلاتن مكررة وسرعة النطق بها،
متناغما مع سرعة الطائرة وارتفاعها في السماء.

والقافية هي الأخرى تجذب انتباه الطفل وتحرك مشاعره وأحاسيسه، كما تخلف أثرا في ذهن
ووجدان الطفل؛ والملاحظ أنّ القافية تتنوع وتتباين في خواتيم الأسطر الشعرية للديوان، وهي سمة تطبع
شعرنا المعاصر وشعر سليمان العيسى، خاصة شعره الموجه للطفولة.

6. خاتمة:

نخلص إلى أن الشاعر اهتم بعالم الطفولة، وديوانه هذا هو امتداد لسلسلة من الدواوين الشعرية،
ناجى فيها أحلام الصغار وأمانهم، ورسم على شفاههم بأنغامه ضحكات وفرح؛ ومن هنا جاءت
الموضوعات مستجيبة لمدارك الأطفال، ومستوياتهم العمرية، فتنوعت من تعليمية وترفيهية وتربوية ووطنية..
أما عن جماليات هذا الديوان، وجدنا لغة الشاعر غالبا سهلة بسيطة في عباراتها، بعيدة عن كل عويص
وغريب، أما الصورة الفنية أظهرت مهارة الشاعر في التعبير المجازي عن الأشياء؛ من غير تكلف في الأداء
أو ركافة في البيان.

وموسيقى الشعر غنية خفيفة في تفعيلاتها، وتناغم قوافيها، مما ينم عن مهارة واقتدار يتصف بهما
الشاعر، وفهم عميق لرسالة الشاعر الحقيقي في نشر الوعي الفكري والأدبي بين الأجيال، وتبليغ لغتنا
الجميلة، وقيمنا العظيمة، للصغار في أجمل حلة وأبهى صورة.

7. قائمة المراجع:

1. أنيس إبراهيم، (1952)، موسيقى الشعر، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط 02.
2. ابن منظور جمال الدين، (د.س)، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، مج 3.
3. العيسى سليمان، (2009)، ديوان أراجيح تغنى للأطفال، دار الصدى، دبي .
4. —، (1999)، ديوان الأطفال، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 01.
5. المقالح عبد العزيز، (د.س)، إشارات - ضمن كتاب سليمان العيسى - الأعمال الأخيرة - 2.
6. —، (د.س). الرجل الضوء.. الرجل الشعر - ضمن ديوان سليمان العيسى - الأعمال الأخيرة - 3
7. أبو معال عبد الفتاح، (2005)، أدب الأطفال وأساليب تنشئتهم وتعليمهم وتثقيفهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط 01.
8. —، (1988)، أدب الأطفال - دراسة وتطبيق -، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت
9. القط عبد القادر، (د.س)، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت.
10. يموت غازي، (1996)، بحور الشعر العربي - عروض الخليل، دار الفكر اللبناني، بيروت .
11. مرتاض محمد، (1994)، من قضايا أدب الأطفال - دراسة تاريخية فنية -، ديوان المطبوعات الجامعية - بن عكنون، الجزائر .